

# فنانة ترسم لتتذكر وتتذكر لتمحو

## إيفيت أشقر

### رسامة المعاني التي تثق بالتجريد



فاروق يوسف

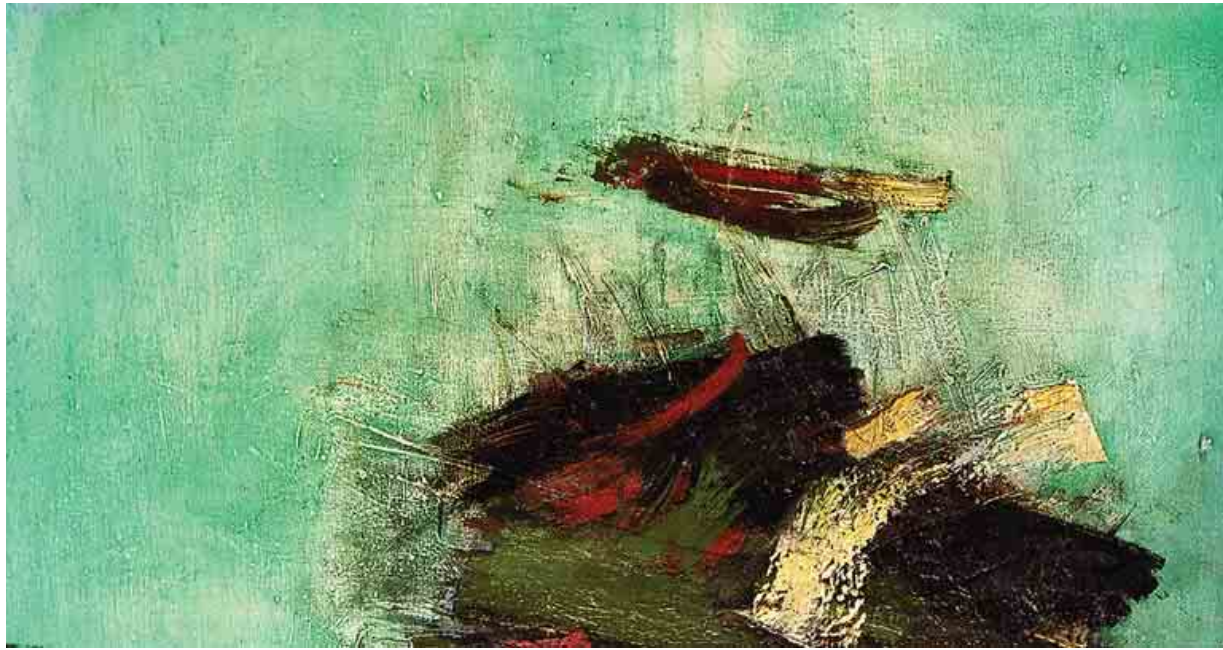
في العام 1928 ودرست الفن في الأكاديمية اللبنانية (البا) وجدت نفسها منذ البدء في مواجهة اختبار حقيقي. فقد كان ظهورها فنياً في تلك الحقبة المكتظة بالفنانين الحدائويين والساعين وراء التحول، قد وضعها في مواجهة تحد، لم يكن من اليسير اختراقه. لم يكن السؤال الرئيس يومها "كيف نرسم؟" فقد كان سؤال الحرفة والتمكن والإتقان محسوماً. كان السؤال الملح يومها "كيف يتمكن الفنان من أن يكون طليعيًا؟"، وهو سؤال يمكن تبسيطه "ماذا نرسم؟". لقد اختط كل واحد من أبناء ذلك الجيل الذي كان يهذي بالعملية الطريقتي التي يظن أنها ستصل به إلى هدفه وكان أن اختارت إيفيت أن تتخذ من الأسلوب التجريدي طريقاً لها لتصل من خلاله إلى تعريف العالم الذي تراه والتعريف به من خلال إيقاع شاعري أضفت عليه الأثوثة الكثير من رقتها وصفاء حكمتها.

لقد صنعت أشقر عالماً لا شكلياً تستحضر مفرداته لغة تكاد تكون غائبة لشدة شفائيتها. وكما أرى فإن ظهور إيفيت أشقر وروضة سلوى شقير في تلك الحقبة التاريخية كان قد شكل مؤشراً على تقدم وعي المجتمع اللبناني ورفقي هواجسه الحضارية. يومها بدا واضحاً أن المجتمع قد تحرر من قيود كثيرة، بحيث صارت المرأة تلعب دوراً طليعيًا في صنع ذائقتها الجمالية وتحولاته الثقافية.

ستوكهولم - مطلع ستينات القرن الماضي، ظهر في لبنان جيل فني جديد جلبت رغبته في تجديد الأساليب الفنية حيوية مختلفة إلى الحياة الثقافية الحافلة بالأمل. كان ظهور ذلك الجيل بمثابة نهاية لمرحلة مهمة عمادها التأسيس للحدائفة الفنية والبدء بمرحلة جديدة كان البحث المتأن والجري في تنويعات وتحليات الفن التي لا تحصى هدفها ووسيلتها لخلق فن جديد. وهو ما جعل تجاور الأساليب والمدارس الفنية أمراً ممكناً بل ومطلوباً لذاته.

### الرسامة الطليعية

من رموز ذلك الجيل يمكننا أن نذكر: عارف الرئيس وحليم جرداق وشفيق عبود وإيلي كنعان وميشال بصبوص وسلوى روضة شقير وفريد عواد وبول غيراغوسيان. جيل من الفنانين الذين قدر لكل واحد منهم أن يكون في ما بعد علامة شاخصة في تاريخ الفن التشكيلي في لبنان، وكان من حسن حظ إيفيت أشقر أن تكون ابنة ذلك الجيل المغيّر. ابنة ساوابلو (البرازيل) التي ولدت هناك



يضع المتلقي في مواجهة معان افتراضية متعددة.

عن طريق الموسيقى ذهبت إيفيت إلى احتمالات الشكل التي لا تحصى. وهو ما أضفى على رسوماتها قدراً هائلاً من الحساسية التي تستجيب لامزجة مختلفة. كان لدى الرسامة ما يجعلها قادرة على استشعار ولادة الشكل قبل أن تقدم على هدمه. لذلك تتحرك رسوماتها بخفة بين الهدم والبناء في جدل غير سكوني، يمتحن المتلقي من خلاله قدرته على الإبقاء على لذة المشاهدة، كما لو أنها تتجدد كل لحظة. فرسوم إيفيت أشقر تتجدد كل لحظة نظر.

لم تخف إيفيت تأثرها بالتجارب التجريدية الرئيسية التي صنعت منعطفات أساسية في تاريخ الفن الغربي، وهو ما لم تجده مناقضاً لشغفها بالفن الشرقي، بنزعاته وميوله التجريدية. من بين التجريديين الكبار كان أثر هارنونغ ونيقولا دو ستابل وسولاج واضحاً على أعمالها. فهي مثلهم اختارت أن تهدم الشكل ولا تكتثر بالموضوع ولم يشغلها شيء بقدر ما شغلها الإنصات إلى الموسيقى التي تنبعث من الداخل. كان السطح لديها يمتلئ ويفرغ عبر عمليات الإضافة والحذف تبعاً لانفعالها بالوقائع اليومية التي تكتسب حين تمر بيدها المهمة الكثير من الإبهام الذي

### حرية المزاج الفألت

أسسها تأثرها بالفن التجريدي الغربي حرية تنسجم مع روحها المتمردة ومزاجها المتقلب، غير أنه لم يقطع الدرب عليها في اتجاه ما كانت تعتبره قاعدة روحية لها. تراث الشرق الذي يمكنها الالتفات إليه واستيعاب جمالياته من مواجهة الفكر المادي الذي صار يهيمن على وصف الأشياء وتركيب المفاهيم بطريقة عقلانية جافة. كان هناك الكثير من العاطفة في دفاعها عن عالم تكون فيه الروح حاضرة ميزاناً، يمكن من خلالها المضي بالأشكال إلى مستقرها اللاشكلي. في كل ما فعلته هناك دهشة كلاسيكية تسبح المرئيات برفعتها. يشعر المرء وهو ينظر إلى لوحاتها بأنها بعد أن هضمت كل دروس الطبيعة صارت تستعمل ما ألهمتها تلك الدروس من حالات متضادة في صناعة عالمها الذي يهيمها أن يقف باعتدال إلى جوار عالمنا. نجاتها من تقليد الطبيعة صورياً لم يكن القصد منه الهروب من قوانين الطبيعة. ففي رسوم إيفيت أشقر تعيد الطبيعة تأنيث ذاتها.

### رؤى بصرية

لا تكرر إيفيت أشقر نفسها. ما من لوحة من لوحاتها تشبه أخرى. اعتقد أنها في ذلك تفوقت على معلمها الأوروبيين. هل تستخرج الفنانة رؤاها البصرية من عدم لا يكرر صورته؟ تستلهم الفنانة الواقع وهي في الوقت نفسه تتجرد منه. معجزة فنّها تكمن في أنها نجحت في تحويل انفعالها بما يجري من حولها إلى موجهات تقود إلى عالم لا يمكن المرور إليه إلا من خلال تنظيف التأثر من أسبابه. قوة ذلك العالم تقع في قدرته على فرض احتمالاته الجمالية. لم تمارس إيفيت أشقر التجريد باعتباره تقنية لتخفيف العبء عن العالم، بل مارسته باعتباره خلاصة روحية، يمكننا من خلالها فهم الطبيعة الداخلية لذلك العالم. ولأنها اعتبرت العالم من حولها مجالا

ظهورها فنياً في الحقبة المكتظة بالفنانين الحدائويين والساعين وراء التحول، يضع إيفيت أشقر في مواجهة تحد، لم يكن من اليسير اختراقه. فلم يكن السؤال الرئيس يومها «كيف نرسم؟» بل «كيف يتمكن الفنان من أن يكون طليعيًا؟»

حيوياً فقد ارتأت أن لا تفارقه إلا مظهرها. جوهر عملها يقع في اللحظة التي يكتشف فيها الإنسان العالم. لقد لعب الزمن دوراً أساسياً في تكوين مفاهيم أشقر بما يتعلق بصلة الإنسان بالعالم الذي لم يعد مكاناً مطلقاً. كانت ترسم لتتذكر ولكن بأسلوب تجريدي.

### زهد لوني

مريح فن إيفيت أشقر. هناك زهد واضح في الألوان والأشكال والمساحات. كل ما يمكن أن يقع يحظى بالرضا والقبول، ذلك لأن توتر السطح قد لا يسمح لأي شيء بالظهور. عالم هذه الرسامة مكتظ بكائناته التي لا تسمح لها مشاعرها المتدفقة بالظهور. شيء يمكننا أن نفهمه حين نقيم مقاربة بعجز المرء عن التعبير بالكلمات بسبب ذبول يصيبه فجأة. وبالرغم من أن إيفيت لا ترسم مرتجلة فإنها سعت إلى أن تبقى تلك الـ"فجأة" قوية وصلبة كما لو أنها وقعت لتوها.

رسوم أشقر تفاجئ بعفوية جمالها كما لو أنها رسمت للتو. في العام 2004 نجحت نادين كداهش في أن تقيم معرضاً استعاديًا لإيفيت أشقر في قاعاتها جنين أريز ببيروت. المفاجئ في ذلك المعرض أنه لم يبد استعاديًا. بدت اللوحات كما لو أنها رسمت من أجل إقامة معرض شخصي جديد. جديدة إيفيت أشقر دائماً. لا لأنها لم تكرر حسب، بل أيضاً لأنها تفرض على متلقي أعمالها طريقة أحادية في النظر. إنها تحترم حرية المشاهد الذي سينظر باحترام إلى حريتها. بالنسبة إلى إيفيت أشقر فإن الحرية رسالة. لذلك فإنها تسعى من خلال كل ما تفعله إلى تحرير مشاهديها من التعلق بالصورة. "عليك أن تنساها لتكون لديك صورتك الخاصة عن العالم" تلك هي وصيتها. وهي الوصية التي يتعلم المشاهد من خلالها شيئاً من أسرار الفن التجريدي. ذلك الفن الذي أخلصت إليه إيفيت أشقر ووهبته حياتها.

